المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:05، العدد:02 (2021)، ص525-538

العوامل المؤثرة في علاقات المغرب الأقصى بدول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرنين 10-11هـ/16-17م

Manifestations of the relations between Morocco and western European Mediterranean countries during 10-11bc/16-17ad

داود داودي*
جامعة غرداية (الجزائر)
daoudidaoud47@gmail.com

إبراهيم سعيود
جامعة الجزائر 02 (الجزائر)
sayoud.brahim@univ-alger2.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/09/29
تاريخ القبول:
2021/10/29

الكلمات المفتاحية:
- ✓ العلاقات
- ✓ المغرب الأقصى
- ✓ دول غرب أوربا المتوسطية
- ✓ العوامل المؤثرة
- ✓ القرصنة

الملخص:

شهد الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال القرنين 10-11هـ/16-17م حركية سياسية كبيرة اتسمت بالتنافس والتصارع بين القوى الكبرى فيه؛ من أجل بسط السيطرة عليه، والتحكم في مبادلاته التجارية. وفي خضم الأوضاع التي أفرزها الصراع العثماني الاسباني هناك تمكّن المغرب الأقصى من حجز مكانته السياسية والاقتصادية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط؛ حيث كان الحكام المغاربة يستغلون ذلك الصراع بالتقرب من الأتراك العثمانيين تارة، ومن الدول الأوروبية تارة أخرى. ونجحوا من خلال ذلك في تنويع علاقات المغرب الأقصى الدبلوماسية، وتوسيع مبادلاته التجارية، وانتزاع العديد من المعاهدات والاتفاقيات السياسية والاقتصادية؛ ما عزّز من مكانته كقوة سياسية وتجارية متوسطية تتعامل بكل ندية مع دول غرب أوروبا المتوسطية بداية من النصف الثاني من القرن 10هـ/16م.

Article info

Received:
29/09/2021
Accepted:
29/10/2021

Key words:
- ✓ Relationships
- ✓ Morocco
- ✓ The Western European Mediterranean countries
- ✓ Manifestations
- ✓ Piracy

Abstract:

During the 10-11bc /16-17ad centuries Morocco was able to reserve its Political and economic position in the Western basin of the Mediterranean Sea, taking advantage of the situation Created by the Ottoman-Spanish Conflict there, where the Moroccan Rules were exploit that conflict by Getting closer to the Ottomans once And from European countries once Again, and through that, it succeeded in Diversifying its diplomatic relations, Expanding its trade exchanges and Snatching many political and economic Treaties and agreements, which Strengthened its position as a Mediterranean political and commercial Power that deals equally with the Western European Mediterranean Countries, starting from the second half Of the 10 th ad/16 th bc Century.

*المؤلف المرسل

مقدمة

تأثرت علاقات المغرب الأقصى بدول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرنين 10-11هـ/16-17م بنشاط القرصنة وافتداء الأسرى وبتجاوزات بعض المبعوثين والقناصل الأوروبيين لصلاحياتهم. وغدت الاتفاقيات المبرمة بين الطرفين في هذا الشأن محكا أساسيا لاختبار نواياهما في إدامة السلم بينهما من عدمه. وكثيرا ما اعتبر تماطلهما في تحرير الأسرى، أو إساءة معاملتهم إهانة لدولهم، وسببا في توتر تلك العلاقات. (حركات، 1987، ص184). والإشكال الذي يطرح نفسه في هذا المقال يعالج تساؤلات عديدة؛ تتمثل في **ماهية العوامل التي أدّت بالمغرب الأقصى إلى عقد مجموعة من الاتفاقيات السياسية والتجارية مع دول غرب أوروبا المتوسطية؟ وما انعكاساتها وتداعياتها على استقرار أوضاعه السياسية والاقتصادية نسبيا؟**

1. العوامل المؤثرة في توجيه العلاقات بين الطرفين

1.1. القرصنة

تُعدُّ لفظة قرصان دخيلة في اللغة العربية، وقد جاءت من لفظة كورس (Course) الفرنسية الدالة على السرعة في الجري اشتقاقا ومعنى. وقد تصرف فيها الكتاب والمؤرخون فأطلقوها على السفن، أو الأسطول جمعا وفردا. وأطلق لفظ قراصنة على البحارة، أو الجنود الذين يركبونها. وعدت عملا مشروعا باعتبار القراصنة محاربين معترف بهم حصلوا على إذن من ملوك وأمراء دولهم يخول لهم حق مطاردة سفن معادية لدولهم، أو في حالة حرب معها. وموورست القرصنة على نطاق واسع في البحر الأبيض المتوسط خلال القرنين 10-11هـ/16-17م، واعتبرت من الأعمال المشروعة لدى الدول ما دامت في حالة صراع وحرب (الناصري، 2006، ص ص5-7). وقد تسببت في توتر العلاقات بين دول ضفتي البحر الأبيض المتوسط الاسلامية والمسيحية، ودفعت بها نحو التصعيد بسب وجود تيارين دينيين مختلفين لكل واحد منهما خلفياته التاريخية، واستعداداته الدائمة في خوض الصراع ضد الآخر (عدي، 2014، ص ص21-23).

1.1.1. تأثيراتها على علاقات المغرب الأقصى

لم يكن بوسع المغرب الأقصى خلال القرن 10هـ/16م مجابهة التحرشات الإيبيرية على سواحله وثغوره البحرية بسبب عدم قدرته على مجابهتها المباشرة وافتقاره للخبرات والأدوات اللازمة لذلك. وبعد أن تطعم بالخبرات الأندلسية عمد إلى تبني سياسة الحرب الاستنزافية المبنية على ممارسة القرصنة كشكل من أشكال التبادل التجاري الإجباري مع أوروبا حيث شكّلت الجوانب الاقتصادية حافزا إضافيا لتأجيج العواطف الدينية انطلاقا من مراسي الشمال على يد بحارة الريف، والموانئ المتوسطية في كل من بادس، وسبتة، وتطوان، وطنجة، ثم في المراسي الأطلسية كالعرائش، وأسفي، وسلا التي أصبحت قبلة لعموم القراصنة المغاربة خلال القرن 11هـ/17م (أميلي، 2011، ص ص279-285).

أبدى السلطان أحمد المنصور السعدي عزمه في استرجاع الأندلس بمساعدة الأندلسيين حيث راسل الاسبان في الأمر رافضا التنازل لهم عن ميناء العرائش ومؤكدا شرعية ما يقوم به بحارة المغرب الأقصى من

أعمال قرصانية ضد سفن الأوروبيين قائلا: "...**وأنا أشير لكم بأمر وهو أن العرف قد جرى في القديم والحديث واستمر به في الأحقاب السالفة والقرون الخالية...في كون الملوك وإن اختلفت مللهم وتباينت في أديانها سبلهم قد تقع بينهم أطوارا حروب وأطوارا مهادنات...ولكن إنما تكون المهادنة فيما لم تطلب فيه حقوق ظاهرة الاستحقاق...**" (بنعلة، 2011، ص240) .

ومن خلال تتبع ما ورد في تلك المراسلة، يتبين أن المنصور قد أوضح للإسبان، ولعامة المسيحيين موقفه من القرصنة المغربية، وعدم تساهله في القضايا التي تمس الدفاع عن مسلمي الأندلس، والثغور المغربية المحتلة، وأكد أحقيته في نصرتهم. وذلك عن طريق مزاولة القرصنة البحرية التي تكفل له حق التفاوض، والمهادنة مع الأوروبيين عامة في قضايا الأسرى والمعاهدات بكل ندية حفاظا على حقوق ومصالح المغرب الأقصى الاستراتيجية.

وقد تسبّبت أعمال القرصنة في توتير علاقات المغرب الأقصى بدول غرب أوروبا المتوسطية بشكل متكرر لم يحد من مضاعفاتها إلا الاتفاقيات الدبلوماسية التي كانت تعقد بينهما. فقد تسبب تقاعس فليب دو كاستلان (Phillippes De castallanne) في ضياع مكتبة مولاي زيدان السعدي في سنة 1021هـ/1612م، وتوتر العلاقات الفرنسية المغربية. وشكّل موضوع اتصالات متكررة بين الطرفين إلى غاية سنة 1024هـ/1624م (دوكاستري،1911، ص159). وقد وجه هارلاي دوسانسي (Harlay De Sancy) بتاريخ 27 ماي 1617م رسالة إلى لويس الثالث عشر يقول فيها: "**بلغني للتو أن عددا من المساكين الفرنسيين يصل إلى مأتين كانوا قد رهنوا عبيدا من طرف هذا الملك بسبب عدم الوفاء لشخصه الذي ارتكبه المدعو فليب دو كاستلان من مرسيليا. وقد قصدت صاحب الفخامة باسم جلالتكم لأجل تحريرهم...**"(دوكاستري،1911، ص ص10-11).

استمرت عمليات القرصنة في إحراج متواصل للطرفين؛ ففي سنة 1095هـ/1683م خرج الرئيس القرصاني محمد التاج من مرسى سلا قاصدا الجزائر بجواز سفر فرنسي بهدف شراء سفينة وتسليحها فصادف في طريقه سفينة انجليزية محملة بالرخام فاستولى عليها وأسر من فيها واقتادها معه، وفي الطريق تعرض له بحارة فرنسيون فأسروا سفينته وتوجهوا بها إلى فرنسا. فتسبب ذلك الفعل في غضب المولى إسماعيل الذي وجه بتاريخ 09 شعبان 1095هـ/22جويلية 1684م رسالة شديدة اللهجة إلى لويس الرابع عشر يذكره فيها بالاتفاقيات التي بينهم في الشأن قائلا له: "...**أما بعد فاعلم أن الذي ظهر لنا أنك ليس عندك قول صحيح ولا كلام رجيح ولا أظنك إلا غلب عليك أهل ديوانك وصاروا يلعبون بك كما شاءوا ولا بقي لك معه ضرب ولا لقب ودليل ذلك أننا لا زلنا ما قبضنا منك صحة قول ولا أبرمت معنا شيئا...**" (الناصري، 2006، ص90).

2.1.الأسرى

شكّلت تجارة الأسرى بالمغرب الأقصى خلال القرنين 10-11هـ/16-17م جزء كبيرا من تجارة الرقيق التي ابتدأها البرتغاليون في أوائل القرن 10هـ/16م.وقد بررت الدول الأوروبية ذلك بتعاليم الكنيسة، حيث ساد الاعتقاد أن الاتجار بالبشر كالاتجار بالقطن، والدجاج. (براون، 2006، ص ص157-158). وغدت لشبونة

بالبرتغال أكبر سوق للرقيق في أوروبا، فقد عرض فيها سنة 1539م عشرة آلاف عبد للبيع (رزوق، 1991، ص8). بالإضافة إلى أسواق جنوة والبندقية، ونابولي، ومالقة، وبلنسية، واشبيلية. وأما في المغرب الأقصى فاشتهرت أسواق مراكش وفاس، وتطوان، وأصيلا، وسلا (الغاشي،2006، ص ص61-62).

توالت المفاوضات خلال القرنين 10-11هـ/16-17م في شأن افتكاك الأسرى بين الجانبين المغربي والأوروبي، وشكلت على الدوام مسألة خلاف بينهما. وقد فرضت مسألة فداء الأسرى وإنقاذهم من هوان الأسر على الأمراء والوجهاء التقرب من الدول الأوروبية وتوجيه السفارات المتعددة بالنظر إلى ما يفرضه المعتقد من ضرورة لافتدائهم سواء لدى المسلمين، أو المسيحيين سواء بالمعاوضة أو بالأموال (الغاشي، 2006، ص 41). فقد"... **كان العلماء والمشايخ ينفقون ما يتلقونه من صدقات وهبات في سبيل الله وأكثرها كان في الجهاد وفكاك الأسرى**" (الشفشاوني، 2003، ص 62).

كان الأسرى يبلغون معاناتهم إلى ذويهم عن طريق بعض زملائهم المحررين، أو التجار يترجونهم التعجيل بافتدائهم. ولم تكن تلك الرسائل في الغالب تُعبّر بصدق عن حقيقة معاناتهم في غربة الأسر، خاصة من طرف الأسرى الأوروبيين، فكثيرا ما احتوى بعضها على تحامل مقيت، ومبالغات في وصف ظروف الأسر بغرض الاستعطاف.

وللوقوف على نموذج من تلك المبالغات أعرض مقتطفا من رسالة لأسرى فرنسيين إلى لويس الثالث عشر بتاريخ 30 نوفمبر 1630م يقولون فيها: " **مولانا...نترجى جلالتكم بكل تواضع ليهتم مرة أخرى بأمرنا ويستشعر معاناتنا الكبيرة ليهتم برعاياه المساكين ويجعل لبؤسهم نهاية...حيث الحقيقة شيء يدين للعطف...أن ترى رعاياك بين يدي الكفار دون أي اعتبار روحي أين يضيع الكثير من الأرواح حيث تكون ملزمة بتجاهل العبادة بحكم آلاف الأعمال التي قمنا بها في هذا البلد...**" (دو كاستري، 1911، ص ص355-357).

وبالرغم من التعتيم الذي كان يمارس على معاناة الأسرى المغاربة من قبل الأوروبيين، إلا أن بعضهم تمكن من تبليغها إلى ذويه وأمرائه. فقد كتب مجموعة من الأسرى المغاربة في مرسيليا بتاريخ 15ربيع الثاني 1093هـ/23 أفريل 1682م كتابا مترجين فيه المولى إسماعيل قائلين: "**سيدنا صاحب الجلالة نصركم الله على جميع أعدائكم... نستأذنكم في حرية التعبير عما نلاقيه من الشقاء والمحنة والحزن والألم من معاملة هؤلاء الكلاب الفرنسيين...وهذا العذاب عبارة عن الجوع والعري والسب المقذع فينا وفي ديننا المقدس ونبينا المعظم والازدراء بسلطاننا واحتقار شعبنا زيادة على الضرب المستمر والسلاسل والأغلال...نسحبها معنا في جميع حركاتنا...**" (الناصري، 2006، ص81). وقد كان بفرنسا عدد كبير من الأسرى المغاربة يستعملون كحذافين في سفنها القرصانية، ولم يقبل فيهم فداء بالرغم من المفاوضات المتكررة في الشأن. وفي سنة 1082هـ/1671م كتب مجموعة من الأسرى الفرنسيين بمدينة فاس إلى حكومتهم كتابا يستعطفونها طالبين منها إطلاق سراح بعض الأسرى السلاويين لديها فداء لهم لأن ملك المغرب لم يكن يقبل فداءهم إلا رأسا برأس (الناصري، 2006، ص51). وقد ساهمت العديد من العوامل في ازدهار عمليات الاسترقاق كان من أبرزها:

1.2.1. الغارات والحروب

ساهمت الغارات الإيبيرية على سواحل المغرب الأقصى، والمغربية على الثغور المحتلة في ارتفاع عدد الأسرى المعتقلين لدى الجانبين. وقد أكدت الكثير من الكتابات التاريخية المعاصرة لتلك الغارات ذلك من بينها ما ورد في مذكرات برتغالي من سبته، حيث ذكر أن بعض المغاربة المحيطين بسبته عقدوا اجتماعا لمناقشة مسألة استرجاع مدينتهم المحتلة فخاطبهم شيخ مسن قائلا: "...**وإذا كنا افتقدنا القوة والمعرفة اللازمة للدفاع عن أنفسنا خلف أسوار تلك المدينة فكيف نستطيع اليوم صد أعدائنا وسط هذه الدور الهشة...حيث بإمكانهم المجيء ليلا لإحراقنا كما لو كنا أرانب...أعتبر أنه يتعين على كل واحد منا أن يختار الجهة التي يرغب في العيش فيها في انتظار أن يقرر ملكنا وكبار دولته التحرك بكل ما أوتوا من قوة لاسترجاع المدينة**..." (بوشرب، 2016، ص ص42-43).

ويُستشف من هذه الشهادة أن مغاربة المناطق المجاورة للثغور المحتلة كانوا يتعرضون للأسر جراء الغارات الإيبيرية على السواحل المغربية. ولتجنب أسرهم اضطر العديد منهم إلى مهادنة المحتلين، أو التحالف معهم. فكان أهل عبده من دكالة يدفعون سنويا لملك البرتغال ألف حمل بعير من القمح والشعير مقابل ضمان أمنهم. (طوريس، 2016، ص ص16-19) وكرد فعل طبيعي على تلك العمليات عمد المغاربة هم أيضا إلى الاغارة على الثغور البرتغالية والاسبانية، ونصب الكمائن لسكانها الأوروبيين (طوريس، 2016، ص ص425-426).

2.2.1. المجاعات

تُعدُّ العقود الأولى من القرن 10هـ/16م من أخطر السنوات تأثيرا على الوضعية الاجتماعية المغربية؛ نتيجة للمجاعات التي تسببت في عرض الكثير من المغاربة أنفسهم للاسترقاق. وقد استغل البرتغاليون مجاعة سنة 1521م لاستهداف الفتيان بين مدينتي أسفي وأزمور الذين بيعوا من طرف أهاليهم لكسب الخبز (مارمول، 1984، ج2، ص100). فبين سنتي 1525 و1530م بلغ عدد الأرقاء منهم مائة ألف (رودركيز، 2007، ص ص298-299).

3.2.1. التجارة

أدّى التبادل التجاري بين المغرب الأقصى ودول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرنين 10-11هـ/16-17م إلى ازدهار تجارة الرقيق والأسرى في أسواق درعه، وفاس، ومكناس، ومراكش فأصبحت وسيلة لإثراء العديد من الوسطاء والتجار تذر عليهم وعلى دولهم أرباحا طائلة بسبب ارتفاع تكاليف فدياتهم، خاصة القادة والوجهاء منهم. وكان تحرير الأسرى في الغالب يتم بدفع الأموال، أو أسير آخر (أميلي، 1997، ص63). فقد بيع البسطاء بثلاثمائة وستين ريالا، بينما بلغ سعر الأغنياء منهم ألف وخمسمائة ريال. وقد افتدى بعض الوجهاء المغاربة أنفسهم بواسطة إبرام صفقات من مواد تجارية مختلفة (مويط، 1989، ص21). فقد ذكر الفكاك البرتغالي برناردو رودركيز أن مغربيا اتفق معه لدفع أربعمائة رأس من البقر، ومثلها من الغنم، وأربعمائة جزّة

من الصوف لافتداء نفسه من الأسر في أصيلا سنة 1528م. وكان بعض الأسرى يدفع في الديون والرهانات والمفاوضات التجارية حيث تسلم مفاتيح سلاسله إلى محافظ الخزينة (الناصري، 2006، ج3، ص ص16-19).

4.2.1. الهدايا

"**إن الهدايا كانت تتماشى مع روح العصر وكانت مثل العمولات التي تصاحب بعض الصفقات الدولية اليوم، لكن بعض المبادرات تبدو أحيانا كنوع من الرشوة بينما كانت أنواع من الهدايا تندرج في إطار العلاقات الدبلوماسية العادية...**" (مروش، 2009، ج1، ص241). وقد طبقت دول غرب أوروبا المتوسطية في علاقاتها بالمغرب الأقصى خلال القرنين 10-11هـ/16-17م دبلوماسية التهادي كأسلوب سياسي لتليين مواقف متشددة تجاه بعض القضايا العالقة بين الطرفين، أو لتلطيف الأجواء بينهما تمهيدا لإعادة العلاقات إلى مجراها الطبيعي. ولم يتردد الملوك المغاربة عادة في قبولها خاصة تلك التي قدمت لهم عقب إنجازاتهم التاريخية، وفي مراسيم الاحتفالات الدينية، وأثناء تقديم اعتمادات القناصل والسفراء في المغرب الأقصى (الزعلي، 2014، ص1). ففي أواخر جمادى الأولى 987هـ/جويلية 1579م عقب انتصار أحمد المنصور في معركة وادي المخازن توالت عليه عدة سفارات أوروبية تطلب وده طمعا في الحصول على تعاون معه، أو رغبة لتحييده في الصراعات الدائرة بينها. فقد سارع الوفد الاسباني إلى تهنئة المنصور وتقديم هدية له"...**فتهافت الناس على رؤيتها تهافت الفراش...وكان الذي ظهر منها للناس وأحصوه ثلاثمائة ألف دقات من** ريال **الفضة...**" (الفشتالي، 2005، ص ص49-50).

اتخذ المولى إسماعيل "... **حدائق غناء جمع بها أنواعا من الحيوانات... وكان يهادي ملوك أوروبا بالبعض من ذلك**" (عبد الرحمان بن زيدان، 2008، ص33). ففي سنة 1092هـ/1681م أهدى منها للويس الرابع عشر أسدين، وأربع نعامات، ونمرة، (الناصري، 2006، ج3، ص57). ورفض بالمقابل هدية من ممثله قائلا: "...**قدم لعلي مقامنا صاحبكم البشدور وأتانا بشيء من الخرق مع فالصو الحرير وهل نحن ممن يعجبه ذلك ويسره، فنحن معشر العرب لا نعرف إلا الصحيح ولا يسرنا إلا ما فيه مصلحة المسلمين كلهم...**" (عبد الرحمان بن زيدان، 1993، ص174).

ويتّضح من خلال هذا الرفض؛ عدم رضا المولى إسماعيل بالهدية الفرنسية التي لم ترق إلى مقام الأسرى المسلمين الذين طلب فك أسرهم. وعلى العكس من ذلك فقد سر بالهدية التي قدّمها له الوفد الانجليزي بتاريخ 14 أفريل1681م؛ مقابل إبرام صلح معه طالبا منه توجيه مائة عربة إلى طنجة لحملها إلى مكناس. وقد قدرت قيمتها بثلاثين ألف لويز، "... فسر السلطان بذلك وأبرم معهما الصلح". (عبد الرحمان بن زيدان، 2008، ص177). وبالمقابل أهدى للملكة البريطانية مأتي رأس من البقر ومثلها من الغنم حين مغادرة الوفد الإنجليزي لمدينة مكناس. ومع ازدهار عمليات القرصنة وقع العديد من المغاربة في الأسر وازدادت معاناتهم التي وصلت إلى حد إلزامهم بالارتداد عن دينهم. وكان ذلك يصل إلى مسامع السلاطين المغاربة الذين عبروا عن أملهم في

أن تضم الهدايا المقدمة إليهم من طرف ملوك وسفراء الدول الأوروبية بعض الأسرى من المسلمين بدلا من الهدايا المادية. وهذا ما عبر عنه المولى إسماعيل عندما استقبل سفارة فرنسية في سنة 1682م قائلا للسفير: "...**لو قدمتم لنا هدية بعض الأسرى الذين عندكم من رعيتنا لكان ذلك لأوقع في نفوسنا وأولى وأحسن من جميع متاع الدنيا زيادة على ما فيه من ثواب الآخرة** " (الناصري، 2006، ج3، ص78).

3.1. البعثات السياسية والدينية

حفل تاريخ العلاقات بين دول ضفتي البحر الأبيض المتوسط خلال القرنين 10-11هـ/16-17م بإيفاد الجانبين لبعثات سياسية ودينية بينهما. واختلفت ظروف ودوافع وأهداف كل طرف بين من يسعى للهدنة أو التحالف، ومن يسعى إلى ضمان مصلحة أو افتكاك أسرى. وللتوضيح ذلك أكثر، يمكن التركيز على أشهر تلك البعثات كالآتي:

1.3.1.البعثات السياسية

1.1.3.1. البعثات المغربية

1.1.1.3.1. سفارة التمكروتي

هو الفقيه الأديب أبو الحسن علي بن محمد التمجروتي الدرعي الجزولي مؤلف كتاب النفحة المسكية في السفارة التركية (محمد، داود، 2013، مج1، ص165). ولد بقرية تمكروت بإقليم درعه سنة 941هـ/1534م في بيت علم وصلاح. تعلم في زاوية والده، ثم رحل إلى تونس، حيث لازم شيخه عبد العزيز بن خليف القسنطيني حتى وفاته. وكانت عائلته على صلة بالأمراء السعديين، وكان أخوه أستاذا لهم وإماما لجامع المشور بمدينة فاس، كما سبق وأن أوفده الملك عبد الله الغالب سفيرا إلى اسطنبول. توفي التمكروتي بمدينة مراكش في سنة 1003هـ/1594م (التمكروتي، 2002، ص ص5-6).

ورد التمكروتي على الملك أحمد المنصور السعدي بفاس يوم الثلاثاء 25 جمادى الأولى 997هـ/11أفريل1589م، فكلفه بمعية الكاتبين محمد الفشتالي، ومحمد بن علي بن أبي القاسم بحمل هديته وتبليغ رسالة إلى السلطان العثماني مراد الثالث. فغادر فاس في 20 جمادى الثانية 997هـ/06 ماي 1589م نحو تطوان منتظرا قدوم سفينة جزائرية لتنقله ورفاقه إلى اسطنبول. وقد مكث فيها لمدة ثلاثة أشهر حتى تاريخ 01 شوال997هـ/13 أوت 1589م، حيث أقلعت بهم السفينة وحلت بإسطنبول بتاريخ السبت 16محرم 998هـ/25 نوفمبر 1589م، حيث أقام بها حوالي ثمانية أشهر. وبعد أداء مهمته غادرها بتاريخ 07 شعبان 998هـ/11جويلية 1590م نحو تطوان التي حل بها بتاريخ 11محرم 999هـ/09 نوفمبر 1590م برفقة وفد عثماني يحمل رسالة إلى المنصور (التمكروتي، 2002، ص ص7-10). وقد استغرقت رحلته من يوم خروجه من تطوان حتى يوم عودته إليها أربع عشرة شهرا واثني وعشرين يوما باحتساب الأيام التي مكثها في الجزائر وفي عنابة وفي طرابلس أثناء رحلة الذهاب، وأثناء الإياب. وقد عهد إلى التمكروتي مهمة إصلاح العلاقات المتوترة مع الدولة العثمانية بسبب الاستقبال الفاتر الذي حظي به الوفد العثماني من قبل أحمد المنصور بعد

معركة وادي المخازن، وتقاعسه في الرد على عروض السلطان مراد الثالث في أمر المصاهرة والتحالف ضد الاسبان، مما أثار غضبه فأمر بتجهيز حملة عسكرية في سنة 989هـ/1581م لتأديب المنصور وضم المغرب الأقصى. وبعد علم المنصور بذلك بادر بإيفاد سفارة إلى اسطنبول تمكنت من تبليغ اعتذاراته لمراد الثالث الذي قبلها وتراجع عن قرار الحملة. وبذلك تجددت الاتصالات بين الطرفين، فكانت سفارة التمكروتي فاتحة لذلك (بن خروف، ع، 2006، ج 1، ص ص218-219).

2.1.1.3.1. سفارة أفوقاي

هو أحمد بن قاسم بن أحمد بن قاسم بن الشيخ الحجري الأندلسي. (أفوقاي،1987، ص5.) وفد إلى البريجة بالمغرب الأقصى فارا من الأندلس، ومكث بها مدة من الزمن موهما أهلها بأنه مسيحي. تمكن من الفرار منها إلى أزمور، فرحب به أهلها ونزل عند محمد بن إبراهيم السفياني أحد وجهائها الذي نقله معه إلى محلة المنصور الذي اصطحبه معه إلى مدينة مراكش حوالي سنة 1007هـ/1599م حسب قوله: "...**وأدركت خمس سنين من مدة مولاي أحمد...**" (أفوقاي، 1987، ص96). وقد اشتغل بالترجمة في ديوان أحمد المنصور، وفي ديوان ابنه مولاي زيدان وابنيه عبد الملك والوليد. (أفوقاي،1987، ص5). كلفه المولى زيدان بسفارة إلى فرنسا وهولندا حوالي سنة 1020هـ/1612م بهدف التقاضي في مسألة النهب الذي تعرض له مسلمون أندلسيين كانوا قاصد أرض المغرب الأقصى على متن سفن فرنسية."...**وجاء إلى مراكش أندلسي من بلاد فرنجة يطلب منهم وكالة ليطلب الشرع عنهم ببلاد الفرنج...ويمشي بهم واحد من الأندلس الذين سبقوهم بالخروج واتفقوا انني نمشي بهم وأعطاني السلطان كتابه وركبنا البحر المحيط بمدينة أسف**" (أفوقاي، 1987، ص44). وقد استغرقت رحلته من أسفي إلى ميناء لوهافر ثلاثين يوما. ومنها انتقل إلى روان، ثم إلى باريس، ومنها إلى بوردو أين التقى قاضي الأندلس الذي أخبره بأن وساطة داي تونس والسلطان العثماني قد عجلتا بحلها. (أفوقاي، 1987، ص ص45-63). ويبدو من خلال هذه السفارة رغبة المولى زيدان في تلميع صورته التي فقدت بريقها لدى الشعب المغربي بسب فضاضته وغلظته.

3.1.1.3.1. سفارة الحاج محمد تميم التطواني

هو أبو عبد الله الحاج محمد تميم من عائلة أندلسية، ولد بتطوان ونشأ بها، تولى عمالة تطوان وسلا. وكان له اتصال ببعض تجار سان مالو الفرنسيين بالمغرب الأقصى. كلفه المولى إسماعيل بقيادة سفارة إلى فرنسا مشكلة من سبعة أشخاص في مهمة التفاوض حول مشروع معاهدة إصلاح العلاقات التجارية، والتباحث في قضيا القرصنة وفداء الأسرى بين الدولتين (الناصري، 2006، ج3، ص56).

أبحرت بعثة محمد تميم من ميناء تهدارت شمال العرائش على متن سفينة فرنسية في 08 رمضان 1092هـ/21 سبتمبر 1681م نحو ميناء بريست الذي وصلته يوم 03 شوال 1092هـ/17 أكتوبر 1681م. ومكثت في بريست نحو شهر ونصف، أوعزت حينها الحكومة الفرنسية إلى قراصنتها في بريست، وطولون، ومرسيليا بضرورة أخذ الاحتياطات اللازمة في شأن الأسرى المغاربة لديهم لئلا يطّلع عليهم السفير المغربي.

ومنها انتقلت إلى باريس التي دخلتها يوم 19ذي الحجة 1092هـ/30 ديسمبر 1681م، وحظيت باستقبال لويس الرابع عشر بقصر فرساي يوم 26 ذي الحجة 1093هـ/04 جانفي 1682م، حيث وقع محمد تميم معاهدة 20 محرم 1093هـ/29 جانفي1682م (الناصري، 2006، ج3، ص ص56-62). وقد حظيت البعثة المغربية بوداع من قبل لويس الرابع عشر الذي قدم لها الهدايا وأبلغها رسالة منه إلى المولى إسماعيل يبلغه فيها بأنه سيوجه سفيره إلى حضرته ليتمم العمل في إمضاء المعاهدة (الناصري، 2006، ج3، ص 61). وقد استقلت سفينة في ميناء مرسيليا بتاريخ 16صفر 1093هـ/25 فيفري 1682م راجعة إلى تطوان التي حلت بها يوم 18 ربيع الأول 1093هـ/28 مارس 1682م (محمد داود، 2013، مج1، ص258).

4.1.1.3.1. سفارة محمد الغساني

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب الأندلسي الفاسي المتوفى في سنة 1119هـ/1710م.كان خبير كتب، اشتغل كاتبا في ديوان المولى إسماعيل الذي أوفده في سنة 1690م إلى كارلوس الثاني (Carlos II) كما ذكر قائلا: "...**وجهني أدام الله علاه لبلاد الروم لآتيه بمن هناك من أسرى الإسلام، وأبحث في الخزائن الأندلسية عما أبقاه المسلمون هناك من كتب الأحكام ليكون لي معه دام مجده كفل من الثواب...**" (الغساني، 2002، ص26).

أبحر من سبته في أواسط محرم 1102هـ/19 أكتوبر 1690م، وحل بمدريد يوم07 ربيع الثاني 1102هـ/ 08جانفي1691م وحضي باستقبال من الملك الذي تسلم منه رسالة المولى إسماعيل. وأوكل إلى مستشاريه مهمة التفاوض في أمرها. وقد "...**ادعوا عدم توفر الكتب وأنهم أحرقوها...وحيث كان المولى...جعل لهم في كتابه الشريف فسحة إن عدموا وجود الكتب أو تعذر حالها أن يجعلوا عوضها كمال ألف أسير من المسلمين ...ولم يمكنهم إلا المساعفة بالامتثال** " (الغساني، 2002، ص84). وبعد مكوثه في اسبانيا لحوالي خمسة أشهر حضي باستقبال ثان من كارلوس الثاني الذي سلمه رسالة منه إلى المولى إسماعيل، ثم غادر مدريد في أول رمضان 1102هـ/29 ماي 1691م عائدا إلى المغرب الأقصى. وبين سنتي 1690 و1691م أوفد كارلوس الثاني بعثة دينية لمواصلة المفاوضات في شأن تبادل الأسرى بين الطرفين. فقام بتنظيم زيارتين إلى المغرب الأقصى للتفاوض حول قضية الأسرى العالقة بين الطرفين (بن قومار، 2016/2015، ص115).

5.1.1.3.1. سفارة عبد الله بن عائشة

هو أميرال البحر عبد الله بن عائشة "...**الأندلسي الأصل الرياضي الدار والإقبار السلوي الولاية**" (عبد الرحمان بن زيدان، 1993، ص268). أحد رجال دولة المولى إسماعيل وثقاته، حيث وصفه قائلا: "...**وابن عيشة لا يخفى على أحد لطول خدمته مقامنا الشريف، فلو كان رماه الوقت ببلاد أحد أجناس النصارى بغير قصد وعقد...ما عسى أن يعقده معهم، وجاء به إلى خاصة المسلمين وعامتهم لعملوا به وقبلوه**" (الناصري، 2006، ج3، ص158).

تأزمت العلاقات المغربية الفرنسية بسبب عدم توصلهما لاتفاق على إثبات عملية السلم وفداء الأسرى وتواصل عمليات القرصنة التي تسببت في اصطدام الأسطول الفرنسي بقيادة شاطو رونو (Château Renault) بأسطول عبد الله بن عائشة قبالة مرسى سلا سنة 1110هـ/1698م.وحينها قرر المولى إسماعيل توجيه سفارة إلى فرنسا لإتمام المذاكرة في عقد صلح نهائي بين الطرفين. وقد تشكّلت البعثة من ستة عشر شخصا من رجال البحر بقيادة أحمد بن عائشة وبرفقتهم تاجر فرنسي يدعى فابر بصفته ترجمان الوفد (الناصري، 2006، ج3، ص ص119-123).

غادر الوفد على ظهر سفينة فرنسية نحو ميناء بريست فوصله يوم07 جمادى الأولى 1110هـ/11نوفمبر 1698م، ثم انتقل إلى لوهافر وأقام بها شهران، ومنها إلى باريس التي وصلها يوم07 شعبان1110هـ/09 فيفري1699م.وبعد سبعة أيام استقبل من طرف لويس الرابع عشر بقصر فرساي، وتخابر معه في مسألة الأسرى وإقرار السلم والصلح بين البلدين رافضا مبادلة الأسرى رأسا برأس، ما أدى إلى فشل محادثاتهما (الناصري،2006، ج3، ص ص130-132).

استقبل لويس الرابع عشر السفير بن عائشة بقصر فرساي لتوديعه يوم 25 شوال1110هـ/ 26 أفريل 1699م، فقدم ابن عائشة خطابا يعبر فيه عن أسفه لعدم تحقيق ما أتى من أجله قائلا: "...**وسأعمل غاية مجهودي لدى جلالة إمبراطورنا وملك بلادنا للتقريب بين آرائكم وآرائه فيما يرجع لمسألة الأسرى في أول اجتماع أجتمع فيه بجلالته خدمة للصالح العام...**" (الناصري،2006، ج3، ص158). ثم توجهت السفارة المغربية من باريس نحو ميناء بريست، واستقلت منه سفينة نحو سلا بتاريخ 09 ذي الحجة 1110هـ/08 جويلية 1699م وبعد يومين من مكوثها بسلا توجهت إلى مكناس حيث قدم السفير عبد الله بن عائشة تقريرا مفصلا عن رحلته إلى المولى إسماعيل وفحوى الحوار الذي جرى بينه وبين الوفد الفرنسي المفاوض، وعبر له عن عدم جدية الملك لويس الرابع عشر في الأمر، ما أغضب المولى إسماعيل الذي توجه برسالة إليه في ربيع الأول سنة 1111هـ/25سبتمبر 1699م قائلا له فيها: "...**إلى طاغية فرانصية وملكها لويس الرابع عشر من اسمه. بعد السلام على من اتبع الهدى. اعلم أن صاحبنا...عذرناه لطول مكثه عندكم بلا فائدة عقد عليها...فاشتغلت وأصحابك تشترطوا عليه شروط التعنيف والتحريف كشروطكم التي أريتموها إياه مع غيره**" (الناصري،2006، ج3، ص157).

2.1.3.1. البعثات الأوروبية

1.2.1.3.1. سفارة سانت أمان (Saint Amans)

كلفه لويس الرابع عشر برسالة تفويضية بمهمة التباحث مع المولى إسماعيل في مسائل السلم بين الطرفين، وفي إمكانية استرجاع زورقين فرنسيين أسرا من قبل بحارة مغاربة ردا على أسر بحارة فرنسيين لمغاربة في سواحل البرتغال. كما أوصاه بضرورة الاطلاع على أوضاع الأسرى الفرنسيين في المغرب الأقصى، وتفعيل معاهدة سان جرمان في فصلها السابع المتعلق بتعويض الأسرى بالمال بدلا من التعويض رأسا برأس (الناصري، 2006،

ج3، ص69). وصل إلى تطوان يوم 02 أكتوبر1682م ولم يبارح سفينته إلا في 11 أكتوبر بعد الإذن له. وبعد اتمام مراسيم استقباله ووصول الإذن السلطاني. غادرها نحو سلا التي وصلها يوم 20 نوفمبر 1682م، حيث حظي باستقبال رسمي من طرف الحاج محمد معنينو ومجموعة من أعيان سلا، والقنصل الفرنسي، وبعض التجار الفرنسيين. ثم غادر نحو محلة المولى إسماعيل الذي استقبله يوم 11ذي الحجة 1093هـ/21 ديسمبر1682م مبديا له استعداده للمصادقة على الفصول التجارية ومعاملة الأساطيل القرصانية لبعضها البعض في البحر، أو عند التجائها لمرسى من مراسي الدولتين. ولكنه بالمقابل لا يتساهل في مسائل فداء الأسرى. استقبل استقبال الوداع يوم 23 ديسمبر 1682م، ثم غادر نحو تطوان وبقي به في انتظار وصول الجواب السلطاني الذي كان مخيبا له لعدم رضوخ المولى إسماعيل للشروط الفرنسية. ثم أبحر راجعا إلى بلاده يوم 13 فيفري 1683م من دون أن يحقق تقدما في مفاوضاته (الناصري،2006، ج3، ص ص70-80).

2.2.1.3.1. سفارة بيدو دو سانت أولون (Le chevalier De Saint Olon)

حل بمدينة تطوان يوم 27 شعبان 1104هـ/03 ماي 1693م، وكان في استقباله الحاج محمد تميم وبعض التجار. بعد استكمال مراسيم الاستقبال غادر نحو مكناس يوم 08 رمضان 1104هـ/14 ماي 1693م، ودخلها يوم 27 رمضان/02 جويلية، حيث استقبل من طرف المولى إسماعيل يوم 06 شوال 1104هـ/11جويلية 1693م. ولم تحمل سفارته أي تغيير في مواقف الحكومة الفرنسية في شأن فداء الأسرى بالرغم من العرض المغربي الذي اقترح إطلاق سراح جميع الأسرى المغاربة لدى فرنسا مقابل إطلاق سراح جميع الأسرى الفرنسيين في المغرب الأقصى (الناصري، 2006، ج3، ص ص110-114). وبعدم توصل الطرفين إلى اتفاق ملموس، غادر سانت أولون مدينة مكناس نحو تطوان التي ركب منها نحو بلاده بتاريخ 16 ذي الحجة 1104هـ/22 أوت 1693م محملا برسالة المولى إسماعيل إلى لويس الرابع عشر يبين له فيها عدم جدية سفارته في التوصل إلى حل قائلا: "...**فلما وصل إلى مقامنا العلي بالله وتكلمنا معه واختبرناه، ما وجدنا عنده إلا الكلام في الأسارى ولا وجدنا بيده تفويض عام يتضمن العقد والحل فيما هو زائد على مسألة الأسارى فاستصغرنا ذلك...ولا يخفى أن هذه المسالة التي جاء لأجلها وبسببها يقوم بقضائها تاجر من التجار ممن هو أدنى رتبة منه...**" (الناصري، 2006، ج3، ص114).

2.3.1.البعثات الدينية

هي منظمات دينية مسيحية تنشط في مجالات انسانية كثيرة، يأتي في مقدّمتها مهمة افتداء الأسرى المسيحيين في البلاد الاسلامية. وتتكون أرصدتها المالية من الهبات المالية التي يمنحها الناس لها بدافع تأثرهم بالدعاية التي تمارسها في أوساط العامة مركزة على الحرب المقدسة التي يمارسونها ضد الكفار بتعبيرهم، وعلى المعاناة التي يتعرض لها الأسرى المسيحيين في الأسر. وقد ازدهر نشاطها وتوسع أكثر بعد إخفاق الكثير من السفارات الأوروبية في افتدائهم في المغرب الأقصى خلال القرنين 10-11هـ/16-17م (الناصري، 2006، ج3، ص42). وقد أبدى رهبان البعثات الدينية المسيحية إلى المغرب الاقصى استماتة كبيرة في سبيل الدعاية

لمهماتهم. وقد خاطب أحدهم السلطان مولاي إبراهيم بن راشد الذي نصحه بالعودة إلى بلاده؛ طالما أن لا أحد من المسلمين يعير اهتماما له ولدعوته، فأجابه بأنه أتى إلى فاس لهدفين: "**الأول هو تنصيره وتنصير الملك لكي يتبعهما عامة الناس ويقتدوا بهما. وثانيهما أنه في حالة ما إذا رفضا ذلك، فإنه يفضل أن يموت حرقا وهو يدعو للعقيدة المسيحية**" (رودركيز، 2007، ج3، ص589).

1.2.3.1. مجموعة الثالوث المقدس (Trinitaires)

تأسّست على يد القديسان الفرنسيان جان دو ماطا (71) (Jean De Matha)، وفليكس دو فالوا (Félix De Valois). نافست الفرنسيسكان منذ سنة 1677م على مهمة رعاية الأسرى بالمغرب الأقصى واستطاعوا أن يحتكروا عملية افتدائهم، وإشباع جشع السلطان بسبب المداخيل التي كانت تدرها للخزانة، ما دفعه إلى طرد الفرنسيسكان والإبقاء عليهم. وتمكنت في سنة 1669م من افتكاك مائة وسبعة وعشرين أسيرا اسبانيا في تطوان، ومائة وثمانية عشر أسيرا آخر في سنة 1674م (بنيس، 1997، رقم 64، ص37).

2.2.3.1. مجموعة الفرنسيسكان (Franciscaines)

تأسّست على يد فرنسوا داسيس (Saint François D'assise) في سنة 1209م، واعتمدت من طرف البابا في سنة 1210م (بنيس،1997، رقم 64، ص37.) وقد نشطت بالمغرب الأقصى منذ سنة 1219م، إلا أن أعمالها تلاشت في سنة 1540م ولم تعد للظهور إلا في سنة 1630م بعد أن تعرضت لمضايقات عديدة في عهد الوليد بن زيدان. وبتاريخ 16جويلية 1646م وصلت سفارة اسبانية إلى مراكش برئاسة راهب فرنسيسكاني تمكنت من بعث نشاطها هناك. وفي عهد تسلط كروم الحاج الشباني على مراكش أمر بتدمير كنيستهم وسجنهم ومصحتهم في المدينة. (بوزينب، 2011، ص ص40-41). وفي سنة 1686م عاد نظام رهبانية الفرنسيسكان إلى المغرب الأقصى واستقر بمدينة مكناس، وتم ترميم مركز التبشير بمدينة تطوان في سنة 1690م، وأنشئ ملجأ جديد في مدينة سلا التي كانت تضم أكبر عدد من الأسرى في المغرب الأقصى.

3.2.3.1. مجموعة المرسيدير (Mercédaires)

من أخوية (Notre Dame De la Merci) تأسست ببرشلونة في سنة 1218م بواسطة بيير نولاسك (Pierre Nolasque) وريموند بينافورت(Raimond De Penafort) . وقد ساهمت بقوة في افتكاك الأسرى المسيحيين في المغرب الأقصى، ففي سنة 1674م تمكنت من تحرير 128 أسير اسباني، وفي سنة 1692م حررت 123 أسير (بنيس، 1997، ص39).

خاتمة

وحاصل القول، فإن علاقات المغرب الأقصى؛ قد تأثرت بدول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرنين 10-11هـ/16-17م سلبا وإيجابا، سواء بنشاط عمليات القرصنة وافتداء الأسرى، أو بتجاوزات بعض المبعوثين والقناصل الأوروبيين لصلاحياتهم. ولم تصمد الاتفاقيات المبرمة بين الطرفين لفترات طويلة، بالرغم من نواياهما في إدامة حالات السلم والتبادل التجاري بينهما. وكانت تلك النوايا تتعرض من حين لآخر لاختبارات سرعان ما

تتسبب في توترها. حيث كثيرا ما اعتبرت إساءة معاملة أسرى أحد الطرفين؛ باعتباره نتاج عمليات القرصنة بينهما من أهم الأسباب المؤدية بعلاقاتهما نحو التصعيد، لذلك ظل الطرفان ينظران إلى بعضهما بعين الريبة ما دامت معظم بنود الاتفاقيات المبرمة بينها في شأن تحرير الأسرى، وعدم التعرض لمصالحهما التجارية في عرض البحار لم تحترم.

المصادر والمراجع

باللغة العربية

1. أفوقاي أحمد بن قاسم. (1987). **مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب**، تحقيق: محمد رزوق ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الدار البيضاء.
2. أميلي حسن. (1997). **الجهاد البحري بمصب أبي رقراق رد فعل أندلسي**، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 64، الرباط.
3. أميلي حسن. (2011). **المغاربة والمجال البحري في القرنين 17و18م**، دار أبي رقراق للنشر والتوزيع، الرباط.
4. بن خروف عمار. (2006). **العلاقات السياسية والاقتصادية بين الجزائر والمغرب الأقصى في القرن 10هـ/16م**، 2ج، دار الأمل للنشر والتوزيع، الجزائر.
5. بن زيدان عبد الرحمان. (2008). **الدرر الفاخرة في مآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة**، ط1، شركة نوابغ الفكر، القاهرة.
6. بن زيدان عبد الرحمان. (1993). **المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف**، تقديم وتحقيق: عبد الهادي التازي، ط1، مطبعة اديبال، الرباط.
7. بن قومار جلول. (2016/2015). **علاقات المغرب الأقصى السياسية والدبلوماسية مع دول ضفتي غرب المتوسط في عهدي أحمد المنصور السعدي وإسماعيل العلوي 1578-1727م**، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، جامعة غرداية.
8. بنعله مصطفى. (2011). **مجموعة ظهائر ورسائل السعديين**، مطبعة الرباط نيت الرباط.
9. بوزينب الحسين. (2011). **الموريسكيون وقصبة الرباط، تقديم: حسن أوريد**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط.
10. بوشرب أحمد. (2016). **شمال المغرب من خلال مصادر برتغالية 1415-1490م**، مطبعة صناعة الكتاب، الدار البيضاء.
11. التمكروتي علي بن محمد. (2002). **النفحة المسكية في السفارة التركية**، تقديم وتحقيق: عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط.
12. جفري براون. (2006). **تاريخ أوروبا الحديث**، ترجمة: علي المرزوقي، ط1، الأهلية عمّان.
13. الحاحي عبد الله. (2013). **الدولة السعدية آليات التطور ومظاهر التدهور سوس بين 916-1015هـ/1510-1609م**، افريقيا الشرق، الدار البيضاء.
14. حركات إبراهيم. (1987). **السياسة والمجتمع في العصر السعدي**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء.

15. داود محمد. (2013). **تاريخ تطوان**، مراجعة وتصحيح: حسناء داود، 10مج، دار أبي رقراق للطباعة والنشر.
16. دوطوريس دييغو. (1989). **تاريخ الشرفاء**، ترجمة: حجي محمد والأخضر محمد، سلا والرباط.
17. رزوق محمد. (1991). **دراسات في تاريخ المغرب**، الدار البيضاء.
18. رودركيز برناردو. (2007). **حوليات أصيلا (1535/1508م)**، تعريب: بوشرب محمد، دار الثقافة، الدار البيضاء.
19. الزعلي عبد الصمد. (2014/05/11). **هكذا كان المخزن يحل أزماته مع أوروبا**، جريدة المساء، ص ص1-5.
20. الشفشاوني محمد بن عسكر. (2003). **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق: محمد حجي، ط2، منشورات مركز الثرات الثقافي المغربي، الدار البيضاء.
21. عدي سعيد. (2014). **المغرب والعالم المتوسطي**، منشورات دار الأمان، الرباط.
22. الغاشي مصطفى. (2006). **المغرب السعدي والعثمانيون من صراع محمد الشيخ إلى تعاون عبد الملك**، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، عدد12، جامعة تطوان.
23. الغساني محمد. (2002). **رحلة الوزير في افتكاك الأسير**، تقديم: نوري الجراح، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي.
24. الفشتالي عبد العزيز. (2005). **مناهل الصفا في موالينا الشرفاء**، تحقيق: كريم عبد الكريم، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط.
25. مارمول كارفخال. (1984). **إفريقيا**، ترجمة: حجي محمد وآخرون،3ج، مكتبة المعارف، الرباط.
26. مروش المنور. (2009). **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني**، 2ج، دار القصبة للنشر، الجزائر.
27. مويط جرمان. (1989). **رحلة الأسير مويط**، ترجمة: محمد حجي ومحمد الاخضر، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الريصاني.
28. الناصري جعفر بن أحمد. (2006). **سلا ورباط الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية**، تحقيق: أحمد بن جعفر الناصري، 6ج، أكاديمية المملكة المغربية الرباط.

باللغة الأجنبية

1. De Castries (1911) : **Agents ET voyageurs Français Au Maroc 1530-1660**, Ernest Leroux Editeur, Paris.
2. De Castries : S.I.H.M. France, t1, p p10 -11.
3. Http: //fr.wikipedia.org, le19/03/2011.